

البيروت

بقلم جانت بول سارتر
ترجمة عائدة طرعي أدريس

صدر في الاسبوع الماضي في باريس كتاب خطير بعنوان « الاستجواب » La Question كتبه بيار ألغيه Pierre Alleg وهو في سجنه بالجزائر وروى فيه فظائع التعذيب التي أخضع لها الجلادون ليستنطقوه عن اسرار تتعلق بالشوارب العرب في الجزائر . وقد احدث هذا الكتاب ضجة كبيرة في فرنسا ، وكتب الكاتب الكبير جان بول سارتر مقالا طويلا عنه ما كاد ينشر في « الاكسبريس » حتى صودرت . وفيما يلي ترجمة مقال سارتر الذي سيؤلف فصلا من الكتاب الهام الذي تصدره دار الآداب في آخر هذا الشهر بعنوان : « عارنا .. في الجزائر » وهو مجموع ما كتبه الكاتب الفرنسي الكبير عن الاستعمار الفرنسي الغاشم في الجزائر .

وفارغة ، عندما يحين الوقت ، وأن وضعا غير منتظر سيطرح فقيمتهم كلهم من جديد ، وأن عليهم ان يقرروا هناك ، وحدهم ، مصر فرنسا ومصريهم . وما هم يذهبون وآخرون يعودون وقد عرفوا عجزهم فبقي أغلبهم يحتفظون بصمت حقوق . ويولد الخوف : من الآخرين ، والخوف من النفس ، فيحتاج جميع الأوساط ، ولا تعود الضحية والجلاد سوى صورة واحدة : انها صورتنا . وفي الحالات القصوى ، فان الطريقة الوحيدة لرفض احد هذين الدورين هي ان نطالب بالآخر .

ان هذا الاختيار لا يفرض - او لم يفرض حتى الان - على فرنسيي فرنسا ، ولكن عدم التحديد هذا ينقل علينا : وبسببه نحن « الجرح والسكين » فالهلع في ان نكون السكين ، والخوف من ان نصبح الجرح كلاهما يتبادلان التأثير والقوة . وتستيقظ ذكريات : فمنذ خمسة عشر عاما ، كان اشجع المقاومين يخشون الالم اقل مما كانوا يخشون استسلامهم للام . وكانوا يقولون : حين تسكت الضحية ، فانها تنفذ كل شيء ، وحين تتكلم فليس لاحد الحق في ان يحكم عليها ، حتى الذين لم يتكلموا . ولكن الضحية تتزوج جلادها ، انها امراته ، وهكذا يفرق هذان الزوجان في ليل الحفارة . ولقد عاد ليل الحفارة ، انه يعود الى « البيار » كل ليلة وانه في فرنسا سواد فلونيا . وبالفضل فان دعاية مهموسة تتيح لنا ان نسمع ان « جميع الناس يتكلمون » . هذه هي الوان التعذيب التي يبررها الجهل الانساني . ما دام كل واحد منا خائنا بالقوة ، فالجلاد الكامن في كل منا يخطيء في ان ينزعج ، لاسيما وان عظمة فرنسا ترفض ذلك .. واصوات متناهية في النعومة تفسر لنا ذلك كل يوم . ان المواطن الصالح ينبغي ان يكون ذا ضمير صالح ، اما صاحب الضمير السيء ، فلا بد ان يكون انهزاميا .

وحالا ما ينقلب النهول الى ياس . فاذا كان على الوطنية ان ترمينا في حفن الحفارة ، اذا لم يكن هناك اي حاجز في اي مكان لا يمنع في اية لحظة الامم ولا الانسانية كلها من ان تنصب في اللانساني ، فلماذا نحن اذن نكلف انفسنا هذا الجهد كله لنصبح او لنظل بشرا ؟ ان اللانساني هو حقيقتنا . ولكن اذا لم يكن اي شيء اخر صحيحا ، اذا كان لا بد من الارهاب او ان نموت من الارهاب ، فلماذا نجهد في ان نعيش وفي ان نبقي وطنيين ؟

لقد وضعوا هذه الافكار في رؤوسنا بالقوة والقسر ، وانها لافكار غامضة وخطئة . انها تنبثق كلها من هذا المبدأ نفسه : الانسان هو لا انساني .

في عام ١٩٤٣ في شارع اوربستن كان فرنسيون يصرخون من القلق والالم . وكانت فرنسا كلها تسبعمهم انذاك ولم يكن مصر الحرب اكيدا ولم تكن نود ان نفكر في المستقبل ومع ذلك فان شيئا واحدا كان يبدو لنا مستحيلا . ان يكون باستطاعتنا ان نجعل رجلا يصرخون يوما ما بسببنا . والمستحيل ليس كلمة فرنسية : ففي عام ١٩٥٨ ، يعمد في الجزائر الى التعذيب المستمر المنتظم . والكل يعلم ذلك من السيد لاكوست الى مزاري لافيرون ، ولا احد يتكلم عن ذلك ، او ان اصواتا تتلاشى في السكون . لم تكن فرنسا تحت الاحتلال ابكم منها الان ، بالرغم من انها كان لها العذر في ان تحمل السلاح .

ولقد حكم علينا في الخارج : باننا لم نكف عن الانحدار . وقد بدأ ذلك منذ سنة ٣٩ ، في رأي البعض ، وفي رأي الآخرين منذ سنة ٩١٨ . وانه ليقول مرتجل : فانا لا اؤمن بهذه السهولة في انهيار شعب . انني اؤمن بفشله وخبله . وفي اثناء الحرب عندما كانت الاذاعة الانكليزية او الصحافة السرية تتحدث عن « اورادور » كنا ننظر الى الجنود الالمان الذين كانوا ينتزهون في الشوارع نظرة بريئة وكنا نقول احيانا : انهم مع ذلك رجال يشبهوننا ، فكيف يكون باستطاعتهم ان يفعلوا ما فعلوا ؟ وكنا فخورين بانفسنا لاننا لم تكن نفهم .

واليوم نعلم انه ليس هناك شيء للفهم : لقد تم كل شيء بفعلته واستسلامات غير ملحوظة ، وعندما رفعا رؤوسنا ، رأينا في المرآة وجها غريبا ، بغيضا : وجها .

ان الفرنسيين يكتشفون ، في غمرة دهشتهم ، هذه الحقيقة الهائلة : اذا لم يكن هناك ما يحمي امة ضد نفسها لا ماضيها ، ولا اماناتها ، ولا قوانينها الخاصة واذا كانت خمس عشرة سنة كافية لتحويل الضحايا الى جلادين ، فذلك لان الظرف هو وحده الذي يقرر : فحسب الظروف يستطيع اي كان وفي اي وقت ، ان يصبح ضحية او جلادا .

سعداء هم اولئك الذين ماتوا من غير ان يضطروا ابدا الى التساؤل « انراني اتكلم ، اذا هم نزعوا لي اظفاري ؟ » واكثر سعادة منهم اولئك الذين لم يجبروا وهم لم يكادوا يفارقون الطفولة على ان يتساءلوا هذا السؤال الاخر : « ماذا تراني افضل ، اذا عمد اصدقائي او اخوتي في السلاح ، او رؤسائي الى انتزاع اظفار عدو امام عيني ؟ »

هؤلاء الشباب الذين يوضعون في موقف حرج ، ماذا يعرفون عن انفسهم ؟ القرارات التي يتخذونها هنا ، يحددون انها ستبدو لهم مجردة

وان هدفهم في ذلك، هو افتناعنا بمعجزنا. وان هذه الافكار تبلغ هدفها مادما لا ننظر اليها مواجهة . والحق انه يجب ان يعرف في الخارج : ان سكوتنا لا يعني قبولنا . انه يأتي من الكوابيس التي يخلفونها ويفذونها ويوجهونها ولقد كنت اعرف ذلك من قبل ولكنني كنت انتظر منذ زمن بعيد دليلا قاطعا .

وهذا هو :

منذ خمسة عشر يوما تقريبا ، ظهر كتاب في « منشورات منتصف الليل » بعنوان « الاستجاب » ومؤلفه هو « هنري اليغ » الذي ما يزال اليوم معتقلا في سجن في الجزائر ، وهو يروي ، من غير تعليقات لا جدوى منها ، وبدقة مدهشة ، « الاستنطاقات » التي تعرض لها . ولقد « اعنتى » الجلادون به كما وعدوه بذلك هم انفسهم : فاخضعوه لعذاب الماء ، تماما كما كن ذلك في ايام « البرنفيليه » Brinivilliers ولكن يضاف اليه المتنقنات التكنيكية التي فرضها عصرنا ، وعذاب النار والعطش الخ . انه كتاب لا ننصح النفوس الحساسة بقراءته . والواقع ان الطبعة الاولى - وهي عشرون الفا - قد نفذت . وبالرغم من طبعة ثانية تمت على عجل فقد عجز الناشر عن تلبية الطلب . فان بعض المكتبات تباع من الخمسين الى المئة نسخة يوميا .

وقد كان الذين يجروون على ان يدلاوا بشهادتهم حتى الان هم الذين عاشوا مع اخوتهم واخوتنا : الجلادين . ولم يكونوا يعرفون من الضحايا غالبا سوى صراخاتهم وجراحتهم والامهم . وكانوا يصفون لنا ساديين منحنيين فوق مزق من اللحم . وما الذي كان يميزنا عن هؤلاء الساديين؟ لا شيء ما دمنا نسكت : وكان غضبنا يبدو لنا صادقا . ولكن هل كنا نحفظ به لو

كنا قد عشنا هناك؟ اما كان يخلي مكانه للقرف العالمي ولاستسلام كتيب ؟ وقد كنت من جهتي اقرأ لان الواجب يحتم علي ذلك . وكنت انشر احيانا وكنت احقر هذه القصص التي كانت تضعنا في ففص الاتهام من غير شفقة والتي لم تكن تترك مجالا للامل .

اما مع هذا الكتاب « الاستجاب » ، فان كل شيء يتبدل : ان « اليغ » يوفر علينا اليأس والخجل لانه ضحية ولانه قد قهر العذاب . وهذا الارتداد لا يتم من غير روح فكاهية حزينة . لقد عذبوه باسمنا ، واننا لنسترد بسببه بعضا من فخرنا : اننا فخورون بان يكون فرنسيا . ان القراء يتجسدون فيه بشفف ، ويرافقونه حتى نهاية الالم ، ويصمدون واياه ، وحيدون وعراة . اتراهم جديرين ، اترانا جديرين بذلك حقنا وحقيقة ؟ تلك هي مسألة اخرى ، المهم الذي يعتد به ، هو ان الضحية تحررت اذ جعلنا نكتشف ، كما تكتشف هي نفسها ، اننا نستطيع ويجب ان نتحمل كل شيء .

اننا نهبه ونسحر على هوة الانساني . ولكن يكفي رجل فاس وعنيد ومصر على ان يقوم بمهنته كاتسان لينقذنا من الدوار . ان « الاستجاب » ليس لا اناسيا ، انه بكل بساطة جريمة ذنيمة وخليعة يرتكبها بشر . ضد بشر اخرين . وباستطاعة سواهم ومن واجبه ان يقضوا عليها . ان الانساني لا يوجد في اي مكان ، الا في الكوابيس التي يولدها الخوف . والحق ان شجاعة ضحية هادئة وتواضعها ، وصفاءها توقظنا لنكتشف عن حقيقتنا . ان « اليغ » ينتشل التعذيب من الليل الذي يطمسه . فلنقترب لننظر اليه في وضح النهار .

ما هؤلاء الجلادون اولا ؟ ام ساديون ؟ ام هم ملائكة غاضبون ؟ ام هم اسبياد حرب ذوو اهواء مرعبة ؟ ان كان علينا ان نصدقهم ، فانهم خليط من هذا كله . ولكن الواقع ان « اليغ » لا يصدقهم . ان ما ينتج من الاحاديث التي يتفلسفون انهم يودون ان يقنعوا انفسهم ويقنعوا الضحية بسيادتهم المطلقة : فهم احيانا بشر اعلون يمسكون اناسا تحت رحمتهم ، وهم احيانا اخرى رجال قساة اقوياء وكل اليهم امر ترويض اوقح البهائم واشدها وحشية ، واكسلها ، البهيمية الانسانية . ومن المفهوم انهم لا ينظرون اليها عن كذب : فالهم ان يشعروا السجن بانهم ليس من جنسهم : ولذلك يعرفونه من ثيابه ويربطونه بشدة ويهزأون منه . ويهر جنود بالقرب منه ذهابا وايابا يقذفونه بشتائم وتهديدات بلا مبالاة تريد ان تكون هائلة .

ولكن اليغ ، العاري ، المرعجف من البرد ، المربوط الى خشبة ما تزال سوداء لزوج - بسبب قبيء قديم ، يعيد هذه الجبل كلها الى حقيقتها التي تدعو الى الشفقة : انها تمثيلات يلعبها حمقى : فمسرحة هي فسوة احاديثهم الفاشستية وقسمهم بان « يقضوا على الجمهورية » ، ومسرحة هي ايضا مسمى « ضابط الجنرال م . م . » هذا المسمى الذي ينتهي بهذه الكلمات : « لم يبق لكم الا ان تنتحروا » انها مهازل سمجة ، جامدة يعاد تمثيلها كل ليلة من دون اقتناع امام كل سجين ثم توقف بسرعة بسبب ضيق الوقت : ذلك ان هؤلاء العمال المرعجين مثقلون بالاعمال ، وهم مرهقون لان السجناء يقفون مصطفين بالقرب من خشبة التعذيب ، ولا بد من ربطهم وحلهم ومرافقة الضحايا من غرفة تعذيب الى اخرى . وان من ينظر بعين « اليغ » الى هذه الخلية القذرة ، يدرك ان الجلادين مرهقون بالعمل كل الارهاق . وقد يحدث بالطبع ان يتظاهروا بالهدوء وان يشربوا البيرة ، وقد تراخوا فوق جسد معذب ، ثم يقفون فجأة على اقدامهم ويركضون في كل اتجاه فيشتمون ويزارون من الغضب . انهم عصبون من طراز رفيع يخضعون ضحايا كثيرة ويعتقدون انهم

صدر حديثا :

مجموعة تراث العرب

- ١ - لسان العرب ٦٥ جزءا ثمن الجزء ٣٠٠ ق.ل.
- ٢ - معجم البلدان ٢٠ جزءا ثمن الجزء ٤٠٠
- ٣ - الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٢ جزءا ثمن الجزء ٤٠٠
- ٤ - رسائل اخوان الصفاء ١٢ جزءا ثمن الجزء ٢٥٠
- ٥ - البخلاء للجاحظ ٦٠٠
- ٦ - مجمع البحرين لليازجي ٦٠٠

الناشر : دار بيروت و دار صادر

بمناسبة يوم الجزائر في البلاد الافريقية والاسيوية

يسر دار الآداب في بيروت ان تقدم الكتاب الخطير:

عارنا... في الجزائر!

بقلم الكاتب الفرنسي الكبير جان بول سارتر
وفيه يفضح الاديب الحر أساليب الاستعمار
والتعذيب والتضليل التي تستعملها السلطات
الفرنسية في الجزائر العربية الباسلة
ترجمة عائدة وسهيل أدريس
أحجز نسختك من الآن

وفي هذه القضية ، لا يعتد بالافراد : فان هناك حقدا تأنها ، مغفلا ،
حقدا جذريا في الانسان ينقض في وقت واحد على الجلادين وعلى
الضحايا فينحط بهم معا ويحط بعضهم بسبب بعض . وليس العذاب
الا هذا الحقد وقد اندرج في نظام وخلق لنفسه وسائله الخاصة .
وحين يقال ذلك بغياء في المجلس الوطني ، تنفجر الضجة : انكم
تهينون الجيش !) وينبغي ان نسال مرة اولى واخيرة هؤلاء الكلاب
الصفيرة : (ما دخل الجيش هنا) ؟ ان ما هو مؤكد ان التعذيب يقوم
ايضا « في الجيش » وان « لجنة الوفاية » لم تخف ذلك في تقرير لها
هزيل ، وبعد ذلك اهو « الجيش » الذي يعذب ؟

اية حماقة ! ايظنون المدنيين يجهلون الطرق الصالحة ؟ اذا لم تكن
القضية الا هذا ، فلنمنح شرطة الجزائر ثقتنا . ثم اذا كان هناك حاجة
الى رئيس جلادين ، فلقد عينه المجلس الوطني كله : ليس هو الجنرال
« س » كما انه ليس الجنرال « ب » ولا الجنرال « م » الذي ذكره
اليغ : بل هو السيد لاكوست صاحب السلطات المطلقة . فكل شيء يتم
من خلاله وبواسطته ، سواء « بون » او في « وهران » : ان جميع الناس
الذين ماتوا من الالم والهول في مبني « البيار » وفي مقصورة « س » ،
انما ماتوا بارادته . ولست انا الذي يقول ذلك : انهم النواب والحكومة .
والواقع ان القرح يمتد ، فهو قد تجاوز البحر ، بل لقد شعاع ان
الاستجواب يقوم في بعض السجون المدنية في فرنسا ذاتها . ولا ادري اذا
كانت الشائعة حقيقية ، ولكن لا بد ان انتشارها قد اثار السلطات العامة ،
بدليل ان النائب العام ، في قضية ابن صدوق قد سأل المتهم جهرا اذا كان
قد عذب ، وقد كان الجواب بالطبع معروفا مسبقا .

لا ، ليس التعذيب مدنيا ولا عسكريا ولا فرنسيا على وجه التخصيص .
انه وباء يكتسح العصر كله . فقد عرف الشرق والغرب جلادين : فلم
يمض وقت على تعذيب « فاركاس » للهنغارين ، ولا يخفي البولونيون ان
الشرطة عندهم كانت تعتمد ، قبل بوزنان ، الى الاستجواب . اما ما كان
يحدث في الاتحاد السوفياتي في حياة ستالين فان تقرير خروتشيف شامد
لا يرد على ذلك ... واليوم اتى دور قبرص والجزائر . والواقع ان هنتر
لم يكن الا رائدا في هذا كله .

هذا التعذيب الذي يشجب - بميوعة احيانا - ولكنه يطبق بانتظام

- البقية على الصفحة ٩٣ -

سيصرفون من « الرفسة الاولى » .

اما ان يكونوا خبثاء مجانيين من الفصب، فهذا اكيد، ولكنهم ليسوا ساديين .
انهم مستعجلون جدا ، وهذا ما ينقذهم حقا، ان كلا منهم يتماسك على قدميه
من جراء السرعة المكتسبة ، فعليه ان يعدو باستمرار او ينهار .
غير انهم يحبون العمل المتقن . انهم عند اللزوم يدفعون بالضمير المهني
الى درجة ارتكاب القتل . وهذا ما يثير في قصة « اليغ » . ان وراء هؤلاء
المترحين الشرسين او المضحين صلابة تتجاوزهم وتتجاوز رؤساءهم
انفسهم .

ولقد كان من الممكن ان يكون حظنا كبيرا لو كانت هذه الجرائم عمل
قبضة من الحانقين ولكن الحقيقة هي ان التعذيب ينتج الجلادين . وبعد هذا
كله ، فان هؤلاء الجنود لم يكونوا قد انخرطوا في فرقة من النخبة ليعذبوا
العدو المهزوم . ويصف لنا اليغ في بضعة خطوط اولئك الذين عرفهم ،
وهذا يكفي لتسجيل مراحل التعذيب :

هناك الجلادون الاصغر سنا ، العاجزون الذين يتمتمون باضطراب (هذا
فظيح) عندما يضىء مصباحهم الكهربائي معذبا ما، ثم هناك مساعدا الجلادين
الذين لم يشتركوا بعد بالعمل ، وهم يسكون بالمساجين وينقلونهم، فبعضهم
قد قسا، وبعضهم ينتظر . ولكنهم جميعا قد اخذوا في الدوامة، وليس لهم عذر
قط . وهناك ذلك الاشقر من المنطقة الشمالية « ذو الوجه الودود الذي
يستطيع ان يتحدث عن جلسات التعذيب التي اخضع لها « اليغ » كما
لو كان يتحدث عن مباراة يذكرها ويهنا بها من غير مشقة : كما يفعل
بالنسبة لبطل من راكبي الدراجات . . .) ولقد رآه « اليغ » بعد ايام
يقتل على السلم احد المسلمين ، ووجهه ينبض بالحقد والكراهية . . .)
وهناك يتسلون برؤية الانتفاضات التي تعرو معذبا بالكهرباء، ولكنهم لا
يحتلمون ان يسمعه يصرخ . وهناك اخيرا المجانين الذين يطوفون
ويدورون كورقة ممتة في دوار فورانهم وعنفهم .

وليس في هؤلاء جميعا من هو موجود بذاته ، وليس فيهم من سيبقى
كما هو : انهم يمثلون لحظات تبدل لا مفر منه . فهناك فرق واحد بين
افضلهم وبين اسوأهم : فاولئك هم « زرق » وهؤلاء قدامى . وسينتهي
الامر بهم جميعا الى ان يرحلوا ، واذا استمرت الحرب فسيخلفهم آخرون ،
شقر من الشمال ، او سمر قصار من الجنوب ، يقومون بالهنة نفسها
ويتعادون العنف نفسه والعصية ذاتها .

الجرادون !

— تنمة المشهور على الصفحة ٥ —

خلف ستار المشروعية الديمقراطية يمكن تعريفه بأنه مؤسسة نصف سرية . فهل اسبابه واحدة في كل مكان ؟ عن الضيق نفسه . والحق انه لا اهمية لذلك ، فليس لنا ان نحكم على مصر . ولنكتف بان نكنس امام بابنا ، ولنحاول ان نفهم ما الذي وقع لنا ، نحن الفرنسيين .

انكم تعرفون ما يقال احيانا لتبرير الجلادين : من انه لا بد من تعذيب انسان ما يمكن لاعتراقاته ان توفر مئات من الارواح . وهذا نفاق واضح . فان «البيغ» لم يكن ارهايبا ، وكذلك « اودين » . وذلك انه معتقل بتهمة « تعريض امن الدولة واعادة تشكيل جمعية محلولة » .

افمن اجل انقاذ ارواح بشرية احرقوا له تديبه وشعر عضوه التناسلي؟ لا : لقد ارادوا ان ينتزعوا منه عنوان الرفيق الذي آواه . ولو قد تكلم ، لوضعوا شيوعيا اخر وراء القضبان الحديدية : هذا كل ما في الامر .

ثم انهم يعتقلون هنا وهناك بالمصادفة ، ان كل مسلم « قابل للاستجواب » طوعا : الا اذا قدموا شهادة كاذبة او اتهموا انفسهم مجانا بجريمة ما تخلصا من العذاب . اما اولئك الذين يستطيحون ان يتكلموا ، فمن المعلوم انهم يصمتون . كلهم او جلهم ، فلا « اودين » ولا « البيغ » ولا « غروج » قد فتحوا افواههم . ولا شك ان جلادي «البيار» اوسع معرفة منا فسي هذا الصدد . وقد لاحظ احدهم بعد الاستجواب الاول « لا ليغ » : « لقد كسب ليلة على كل حال ليتيح لرفاقه الوقت الكافي للانسحاب » . وقال ضابط بعد بضعة ايام : « لقد استقر في رؤوسهم منذ عشر سنوات ، منذ خمس عشرة سنة انهم اذا قبض عليهم ، فيجب الا يقولوا شيئا : وليس هناك ما يعمل لنزع هذا التصميم من رؤوسهم . »

لعله لم يكن يقصد الا الشيوعيين : ولكن اتراهم يظنون ان مقالنا في جيش التحرير الوطني هو من غير هذه الطينة ؟ ان اعمال العنف هذه لا تعود الا بنتائج سيئة ، ولقد اقتنع الالمان انفسهم بذلك عام ١٩٤٤ . انها تكلف ارواحا بشرية ولا توفر ارواحا اخرى .

ومع ذلك ، فان العجبة ليست مخظنة تماما : وهي على كل حال تلقي لنا ضوءا على رسالة التعذيب : ان الاستجواب الذي هو مؤسسة سرية او نصف سرية ، مرتبط ارتباطا وثيقا بسرية المقاومة او المعارضة .

وفي الجزائر انتشر جيشنا في الاراضي كلها : فتحنا نملك الصدد والمال والاسلحة ، اما الثوار فلا يملكون شيئا الا الثقة وتأييد قسم كبير من الشعب لهم ، ولقد عرفنا ، بالرغم منا الخطوط الرئيسية لهذه الحرب الاهلية : اغتياالات في المدن ، وكماثن في الريف ، ولم تختَر جهة التحرير الوطنية نشاطاتها ، وانما هي تفعل ما تطيق فعله ، وهذا كل ما في الامر ، وان نسبة قواها الى قوانا يجبرها على ان تهاجمنا هجمات فجائية ، فعليها ان لا ترى ولا تنتظر ولا تمس اذ تضرب وتختفي خشية ان يقضي عليها . ومن هنا ينبع ضيقنا : اننا نصارع خصما سريرا ، فهذه يده تلقي قبلة في شارع ، وتلك طلقة بندقية تجرح جنديا من جنودنا في الطريق ، فاذا سارعنا لم نجد احدا . وفيما بعد ، لا بد ان يعثر على مسلمين لم يروا شيئا . ان الامور مترابطة ، ان الحرب الشعبية ، حرب الفقراء ضد الاغنياء ، تتميز بالصلة الوثيقة التي تشد بين الوحدات الثائرة وبين الشعب ، وفي الوقت نفسه يصبح هذا الفيض من البؤساء ،

بالنسبة للجيش النظامي والسلطات المدنية ، العدد اليومي الذي لا يعد ، وتقلق فرق الاحتلال من صمت اخرس انتجته هي نفسها ، وتدرك ان هناك ارادة للصمت لا يمكن الامساك بها ، سرا دائرا حاضرا في كل مكان ، ويشعر الاغنياء بانهم مطاردون وسط فقراء لا يتكلمون ، وتجد « قوى الامن » نفسها مرتبكة بقدرتها بالذات ، عاجزة عن مواجهة العمليات الحربية الصغيرة ، الا بالتنظيف والتكنيس وبعثات الانتقام ، وعسن مواجهة الارهاب الا بالارهاب . على ان هناك شيئا خفيا : يجسب الاستجواب والاستنطاق في كل مكان .

ان التعذيب غضب لا طائل تحته ولده الخوف : يراد انتزاع سر الجميع من حلق يصعد الصرخات وبقيء الدم . وانه لعنف لا جدوى منه : فسواء تكلمت الضحية او ماتت تحت الضرب ، فان السر الذي لا حصر لعدده موجود في مكان اخر ، دائما وابدا ، بعيد عن المتناول . . وهنا يتقلب الجلاد الى سيزيف : فان عليه اذا طبق الاستجواب ان يبدأ دائما من جديد .

ولكن حتى هذا الصمت وهذا الخوف وهذه الاخطار التي لا ترى قط وهي حاضرة ابدا لا يمكن ان تشرح سبب ضراوة الجلادين وارادتهم في ان يسوقوا ضحاياهم الى الحقارة ومن ثم الى الحقد البشري اذا استولى عليهم على غير رضاهم .

ان يتقاتل الناس : تلك هي القاعدة : فهم قد تحاربوا ابدا من اجل مصالح جماعية او فردية ، اما في التعذيب ، هذه المباراة الفرية ، فانما يقيس الجلاد نفسه بالضحية من اجل صفة الانسان ، وكل شيء يحدث كما لو انهما لا يتنميان معا الى الجنس البشري .

ان هدف الاستجواب لا يقتصر على اجبار الضحية على الكلام وعلى الخيانة : بل على الضحية ان تشير الى نفسها بالصراخ والخضوع على انها

صدر اليوم عن دار الثقافة بيروت

سلسلة كتب جنسية

- | | |
|-------|--------------------------|
| التمن | |
| ٢٠٠ | حياتنا الجنسية * |
| ١٠٠ | الشدوذ الجنسي * |
| | يصدر قريبا |
| ٢٥٠ | الذكر والانثى * |
| | صادر من السلسلة العلمية |
| ٢٠٠ | الذرة : دراسة وتحليل * |
| ١٠٠ | القمر الاصطناعي الروسي * |
| ١٠٠ | عجائب الطب * |
| | يصدر قريبا |
| | تاريخ سوريا للدكتور رضي |

عندما دخلوا التاريخ ترجمة ناصر الدين الشاشيبي

اطلب ايضا من مكتبة دار الثقافة ببيروت ميدان رياض الصلح
عموم الكتب العربية القديمة والحديثة

او ان يوكدوا انسانيتهم ضدنا : فاذا هم يطرحون قيمنا وثقافتنا ونفوقنا المزوم ، واستوى عندهم ان يطالبوا بصفة الانسان وان يرفضوا الجنسية الفرنسية .

ولم يقتصر هذا التمرد على تحدي سلطة المستعمرين ، وانما هم قد شعروا بانهم مهددون بوجودهم ذاته . ان هناك حقيقتين متكاملتين وغير منفصلتين في نظر معظم الاوروبيين القاطنين في الجزائر : ان المستعمرين هم ذوو حق الهي ، والسكان الاصليون هم دون البشر . وتلك هي ترجمة اسطورية لواقع حقيقي ، ما دام غنى الاولين يرتكز على بؤس الاخرين . وهكذا يجعل الاستغلال المستغل تبعا للمستغل . ثم ان هذه التبعية ، على صعيد آخر ، هي في صميم النزعة العرقية ، وذلك هو تناقضها العميق وشرها المرير : ان الاوروبي الجزائري يرى ان كونه انسانا يعني قبل كل شيء انه متفوق على المسلم .

فاذا حدث ان وكد المسلم نفسه كإنسان يساوي المستعمر، فماذا تراه يكون الموقف ؟ ان المستعمر يشعر انه قد مس في كيانه ، وانه قد انتقص من قدره وهبطت قيمته ، وهو لا يرى في دخول هؤلاء الى العالم البشري نتائج اقتصادية فحسب ، بل ان هذا الحادث يزي به لانه يعلن لسه سقوطه الشخصي . وقد يتفق له ، وهو في غضبه ، ان يحلم بالاجتثاث ولكن ذلك لا يعدو ان يكون حلما شمريا محضا . انه يعلم ذلك ، وهو يعرف تبعية الاخر له ، فما عساه يفعل من غير عمال من السكان الاصليين ، من غير ايد عاملة رخيصة ، من غير بطالة مستديمة تتيح له ان يفرض الرواتب التي يشاء ؟ وبعد ذلك ، اذا كان المسلمون حقا من البشر ، فقد ضاع كل شيء ، ولم يبق ثمة حاجة حتى الى اجتنائهم . كلا ، بل ان ما يتطلب السرعة ، اذا كان الاوان لم يفت بعد ، هو ان يذلوا ، وان تنتزع العزة من قلوبهم وان يدفعوا الى صفوف البهيمة . سيتترك للاجساد ان تعيش ، ولكن لا بد من قتل النفوس . وتستولي عليهم حينئذ كلمات : الترويض والتقويم والعقاب : فليس في الجزائر مكان كاف لجنسين بشريين اثنين ، ولا بد من الاختيار بينهما .

وانا لا ادعي بالطبع ان الاوروبيين في الجزائر هم الذين اخترعوا التعذيب حتى ولا انهم حثوا السلطات المدنية والعسكرية على تطبيقه ، بل على العكس : لقد فرض التعذيب نفسه تلقائيا ، وقد اصبح « روتينا » قبل ان يلاحظ الناس ذلك . غير ان الحقد البشري الذي يتمثل فيه انما يعبر عن العرقية ، لانه انما يراد تهديم الانسان نفسه بكل صفاته الانسانية ، الشجاعة والارادة والذكاء والامانة - الصفات نفسها التي يطالب بها المستعمر . ولكن اذا استخف القصب بالاوروبي الى درجة ان يحتقر صورته نفسها ، فذلك لان عربيا قد عكس هذه الصورة .

وهكذا يبدو من هذا الزوج الذي لا ينفصل ، المستعمر والمستعمر الجلاذ والصحية ، ان الثاني ليس الا تبعا للاول . مما لا ريب فيه ان الجلاذيين ليسوا مستعمرين ، ولا المستعمرين جلاذيين . فان هؤلاء هم على الغالب شبان ياتون من فرنسا وقد عاشوا عشرين عاما من حياتهم من غير ان يهتموا بالمسألة الجزائرية . ولكن الحقد كان هناك حقلًا للقوى المنطيسية ، فجذنتهم واخرقهم واستمدهم .

ان هذا كله انما يوحي به ما في قضية « اليخ » من بصيرة هادئة واعية . فاذا لم يكن يحمل شيئا اخر ، فينبغي ان نحفظ له عرفانا عميقا

بهيمة بشرية . في عيون الجميع وفي عينيها بالذات . يجب على حياتها ان تحطمها وتخلص المجتمع منها الى الابد . وان من يستسلم للاستجواب لم يكن يراد فقط قسره على الكلام ، وانما هو قد دفع الى الابد بصفة كونه : اقل من انسان .

ولا شك في ان تعميم هذا الشرط صفة من صفات هذا العصر . ذلك ان الانسان بحاجة الى ان يصنع ، ان ارادته في ان يكون حرا لم تكن في اي وقت اقوى منها الان ولا اعمق وعيا ، وكذلك الاضطهاد لم يكن اعنف ولا افك سلاحا .

والفارق في الجزائر غير قابلة للتخفيف : ان كلام من الفريقين المتصارعين يطالب بطرد الفريق الاخر بصورة جذرية . ولقد سلينا المسلمين كل شيء ثم حرمانا عليهم كل شيء ، حتى استعمال لغتهم الخاصة . وقد اوضح « ميمي » كيف ان الاستعمار يتحقق بالفناء المستعمرين (بفتح الميم) انهم لا يملكون بعد شيئا ، وليسوا هم بعد احدا . لقد صفينا حضارتهم فيما منعنا عنهم حضارتنا . كانوا قد طلبوا الانضمام فقلنا لهم لا ونحن نتساءل : باية معجزة ترانا نستبقي الاستغلال الاستعماري اذا كان المستعمرون يتمتعون بالحقوق نفسها التي يتمتع بها المستعمرون ؟ ان النظام المتبع كان يدفعهم ، وهم البؤساء الجهلة المحتاجون للفداء ، الى تخوم الصحراء ، والى آخر حدود الانساني دفعا لا شفقة فيه ، وقد كان مستوى حياتهم ، بسبب ازدياد المواليد ، يتحدر من سنة الى سنة . وحين دفعهم اليأس الى الثورة ، قلنا ان عليهم ، هؤلاء اللابشر ، ان يموتوا

دار الآداب تقدم

قريبا

حلقات اخرى من

مسألة الثقافة القومية

يشارك في تأليفها عدد كبير من ادباء العرب

منهم

الدكتور عبد الله عبد الدائم - الاستاذ رثيف خوري

الدكتور نور الدين حاطوم - الاستاذ شاعر مصطفى

انتظر هذه الحلقات الهامة

الأدب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت
ص.ب. ٤١٢٢ - تلخون ٢٢٨٢٢

الإدارة

شارع سوريا - رأس الخندق العميق ، بناية الاسمر

الاشتراكات

في لبنان وسوريا: ١٢ ليرة
في الخارج: جنيهان استرلينيان
او ٥ دولارات
في اميركا: ١٠ دولارات
في الارجننتين: ١٥٠ ريالا

الاشتراكات الرسمية: ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها

تدفع قيمة الاشتراك مقدما
حوالة مصرفية او بريدية

الاعلانات

يتفق بشأنها مع الإدارة

توجه المراسلات الى

مجلة الآداب ، بيروت ص.ب. ٤١٢٢

بالجميل . غير انه قد اتي باكثر من ذلك ، فهو حين اخاف جلاديه ، انما نصر انسانية الضحايا والمستعمرين ضد العنف المجنون الذي ينطوي عليه بعض العسكريين ، وضد عنصرية المستعمرين . وارجو الاتي كلمسة « ضحايا » هذه نوعا لا افهمه من الانسانية الباكية : ان « البغ » وسط هؤلاء القواد الصغار الفخورين بشبابهم وبقوتهم وبعدهم هو الوحيد الصامد ، الوحيد القوي حقا . وبوسعنا نحن ان نقول انه دفع اعلى ثمن من اجل حق بسيط ، من اجل ان يظل انسانا بين البشر . ولكنه لم يفكر بذلك . ولهذا نهتز بالغ الاهتزاز لهذه العبارة التي وردت في نهاية فصل من فصول كتابه :

« واحسنتي فجأة فخورا وفرحا بانتي لم استسلم ، وكنت اعلى يقين من انني ساقاوم مرة اخرى اذا اعدوا الكرة ، وسأجادل حتى النهاية ، وانتي لن اسهل لهم مهمتهم بان اعمد الى الانتحار . »
اجل انه انسان صلب جلود انتهى به الامر الى بث الخوف في نفوس ملائكة القضب .

ان شهادة « البغ » تبعد اوامنا : لا ، انه لا يكفي ان نعاقب بعض الافراد او نعيد تربيتهم ، ولن نستطيع انسنه حرب الجزائر ، فقد قام فيها التمذيب تلقائيا ، وادت اليه الظروف وعمقته الثمرات العنصرية . . واذا كنا نود ان نضع حدا لهذه الاعمال الوحشية القذرة الكثيرة ، وان ننقذ فرنسا من العار وننقذ الجزائريين من الجحيم ، فليس امامنا الا وسيلة واحدة : ان نفتح المفاوضات وننقذ السلام .

جان بول سارتر

ترجمة عابدة مطرجي ادريس

روائع المسرح العالمي

سلسلة كتب تنتظم اروع المسرحيات العالمية واشهرها
وتتناول من القضايا ما يهم كل مثقف عربي
(يشرف على ترجمتها الدكتور سهيل ادريس)

صدر منها

- ١ الايدي القذرة (نفدت) تأليف جان بول سارتر
- ٢ بستان الكرز « انطوان تشيخوف
- ٣ الحقيقة ماتت « عمانوئيل روبلس
- ٤ كانديدا « برناردشو
- ٥ الافواه اللامجدية « سيمون دوبوفوار
- ٦ البلور المحرق « تشارلز مورغان
- ٧ ثمن الحرية « عمانوئيل روبلس
- ٨ العادلون « البير كامو
- موتى بلا قبور « جان بول سارتر

تطلب هذه السلسلة من

دار العلم للملايين

ودار الآداب - بيروت